أقمتُ مُدَّةً آكل في يومٍ شيئاً من الطِّين، فإذا وضعته أَشَمُّه فلا أجد له رائحة، فسميت لذلك شُميماً، ذكره ابنُ المستوفي في «تاريخ إربل»[١].

ثم دخلت سنة اثنتين وست مئة

ففيها استوزر الخليفةُ نصيرَ الدِّين ناصر بن مهدي، العَلَوي الحسني، وخَلَعَ عليه خِلْعَةَ الوِزَارة: القميصَ والدَّرَّاعة، والعِمامة، والسَّيْف، وخرج من باب الحجرة، فقدِّمَ له فَرَسٌ من خيل الخليفة، وبين يديه دواةٌ عليها ألف مثقال، ووراءه المهد الأصغر، وألوية الحمد، وطبول النوبة، والكوسات تَخْفِقُ، ٥٣
والعهد منشور بين يديه، وجميعُ أرباب الدَّوْلة مشاةٌ بين يديه، وضُرِبَتِ الطُّبول والبوقات له بالرحبة في أوقات الصلواتِ الثلاث: المغرب، والعِشاء الآخرة، والفجر.

وفيها هرب أبو جعفر، محمد بن حديدة الوزير الأنصاري من دار الوزير ابن مهدي، وكان محبوساً بدرب المطبخ عند ابن مهدي ليعذبه، فحلَقَ ابنُ حديدة رأسه ولحيته وخَرَجَ، فلم يظهر خبرُه إلا من مَرَاغَة بعد مُدَّة، وعاد إلى بغداد.

وفيها توجَّه ناصرُ الدِّين؛ صاحب ماردِين إلى خِلاط بمكاتبة أهلها، فجاء الملكُ الأشرف، فنزل على دُنَيْسر، وأقطع بلد ماردين، فعاد ناصرُ الدِّين إلى بلده بعد أن غَرِمَ مئة ألف دينار، ولم يسلِّموا إليه خلاط.

وفيها أغار ابنُ لاون على بلد حلب، وأخذ الجشار[٢] من نواحي حارم، فبعث الملكُ الظَّاهر بنُ صلاح الدين ميمونَ القصري وأَيْبَك فُطَيْس،

---

(١) لم أجده في مطبوع «تاريخ إربل»، وهو غير تام.

(٢) الجشار: هو مكان رعي الماشية وغيرها، وقد يطلق على الماشية، وهو المراد هنا، انظر «صبح الأعشى»: ١١/ ١٧١، و«تاج العروس»: (جشر)، و«تكملة المعاجم» لدوزي: ١/ ١٩٥ (الترجمة العربية).

وحسامَ الدين بن أمير تركمان، فنزلوا على حارم، فقالوا لميمون: نحن[١] على حَذَرٍ. فتهاون، فكبَسَهم ابنُ لاون، فقتلَ جماعةً من المسلمين، وثبتَ أيبك فطيس، وابن أمير تركمان، وقاتلا قتالاً شديداً، ولولاهما لأُخِذَ ميمون، وبلغ الظَّاهر، فخرج من حلب، فنزل مرجَ دابق، وجاء إلى حارم، فهرب ابنُ لاون إلى بلاده، وكان قد بنى قلعةً فوق دَرْبساك، فأخربها الظاهر، وعاد إلى حلب.

وفيها حَجَّ بالنَّاسِ من العراق وجه السبع، ومن الشَّام الشجاع علي بن السلَّار.

قلتُ: كذا قال أبو المُظَفَّر سِبْطُ ابن الجوزي فيما نَقَلْتُه من خَطِّه[٢]، وقد نَقَلْتُ من خَطِّ العِزّ محمد بن تاج الأُمناء قال: وفي السَّابع والعشرين من رمضان سنة اثنتين وست مئة، نادوا الحجَّ على أَيْلة صُحْبة ابن الجرَّاحي[٣].

وفيها توفي طاشْتِكِين بن عبد الله المقتفوي[٤] أمير الحاج، ولقبه مجير الدين[٥].

حَجَّ بالنَّاس ستاً وعشرين سنة، وكان في طريق الحج مثل الملوك، فقصده ابنُ يونس الوزير، وقال للخليفة: إنه يكاتبُ صلاحَ الدين. وَزَوَّر عليه كتاباً، فحبسه مُدَّة، ثم تبيَّن له أنه بريءٌ من ذلك، فأطلقه، وأعطاه خوزستان، ثم

---

(١) كذا في النسخ، وفي «مرآة الزمان»: كن، وهو الأشبه.

(٢) مرآة الزمان (حوادث سنة ٦٠٢ هـ).

(٣) في (س): الخزاعي، وهو تحريف.

(٤) له ترجمة في الكامل: ١٢/ ٢٤١، مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠٢ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ٨٣ ـ ٨٤، المختصر في أخبار البشر: ٣/ ١٠٧، تاريخ الإسلام (ت ٨٤، وفيات سنة ٦٠٢ هـ)، الوافي بالوفيات: ١٦/ ٣٨٥ ـ ٣٨٦، فوات الوفيات: ٢/ ١٢٩ ـ ١٣٠، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٠٢ هـ)، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٩٠، شذرات الذهب: ٥/ ٨، وانظر «كتاب الروضتين»: ٣/ ٤٢٣ ـ ٤٢٦.

(٥) في (س) فخر الدين، وهو تحريف.

أعاده إلى إمرة الحاجّ. وكانت الحِلَّة السَّيْفية إقطاعه. وكان شجاعاً جَواداً، سَمْحاً، قليلَ الكلام، يمضي عليه الأسبوع ولا يتكلَّم، استغاث إليه رجلٌ يوماً، فلم يكلِّمْه، فقال الرجل: الله كلَّم موسى. فقال: وأنت موسى؟ فقال الرجل: وأنتَ الله؟ فقضى حاجته.

وكان حليماً، التقاه رجلٌ، فاستغاث إليه من نوابه، فلم يجبه، فقال له الرجل: أحمار أنتَ؟ فقال طاشْتِكِين: لا.

وفي قِلَّة كلامه يقولُ ابنُ التعاويذي:

وأميرٍ على البلاد مولًّى ... لا يجيبُ الشَّاكي بغيرِ السكوتِ
كلَّما زادَ رِفْعَةً حَطَّنا اللـ ... ـه بتَغْفِيلِهِ إلى البَهْمُوتِ[1]

وقام يوماً إلى الوضوء، فَحَلَّ حياصته[2]، وتركها موضعه، ودخل ليتوضأ، وكانت الحياصة تساوي خمس مئة دينار، فسرقها الفَرَّاش وهو يشاهده، فلما خرج، طَلَبَها فلم يجدها، فقال أستاذ داره: اجمعوا الفرَّاشين، وأحضروا المعاصير. فقال له طاشْتِكِين: لا تضرب أحداً، فالذي أخذها ما يردُّها، والذي رآه ما يغمز عليه. فلما كان بعد مُدَّة رأى على الفَرَّاش الذي سرقَ الحياصة ثياباً جميلة، وبِزَّةً ظاهرة، فاستدعاه سرًّا، وقال له: بحياتي، هذه من ذيك. فَخَجِلَ. فقال: لا بأس عليك. فاعترف، ولم يعارضه.

وكان طاشْتِكِين قد جاوز تسعين سنة، فاستأجر أرضاً وقفاً ثلاث مئة سنة على جانب دِجْلةَ، ليعمرها داراً، وكان ببغداد رجلٌ محدِّث في الحِلَق، يقال له ٥٤
فتيحة المحدِّث، فقال: يا أصحابنا نهنيكم، ماتَ ملكُ الموت. قالوا: وكيف؟ قال: طاشْتِكِين عمره مقدار تسعين سنة، وقد استأجر أرضاً ثلاثة مئة سنة، فلو لم يعلم أن ملك الموت قد مات ما فعل هذا! فتضاحك النَّامس.

---

(١) لم أجد البيتين في ديوانه المطبوع.

(٢) الحياصة: سيرٌ طويل يشد به الإنسان حِقْوه، وكانوا يضعون في داخله النقود. انظر «معجم متن اللغة»: ٢/ ١٩٨.

وكانت وفاتُهُ بششتر، وأوصى أن يُحمل إلى مشهد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، فحمل في تابوت، فدفن فيه.

وفيها توفي الأَخَوان مسعود وممدود ابنا الحاجب مبارك بن عبد الله[١]، فمسعود لقبه سعد الدين، وكان صاحبَ صفد. وممدود لقبه بدر الدين، وكان شِحْنة دمشق. وأمهما أم فَرُّخْشاه بن شاهنشاه بن أيوب، صاحب دار السَّعادة، وأصلُ أمهم من المُنَيْطرة، فَفَرُّخْشاه أخوهما لأُمهما، وأختهما لأُمهما ست عذراء صاحبة المدرسة المجاورة لدار السَّعادة، وبها تربتها، وكانت دارها.

وأما أخوها مسعود، فداره هي المجاورة لرباط زهراء خاتون، قريب حمام جاروخ، هي الآن لجمال الدين موسى بن يغمور.

وأما ممدود فداره بحارة البلاطة، هي الآن لنجم الدِّين بن الجوهري.

وكان مسعود وممدود أميرين كبيرين، لهما مواقفُ كثيرةٌ مع صلاح الدِّين، وتقدَّمت وفاة ممدود على وفاة أخيه بشهرٍ واحد، فإنَّه مات بداره بدمشق يوم الأحد خامس شهر رمضان، وتوفي مسعود بصفد يوم الاثنين، خامس شوال.

وفيها توفي أبو يعلى حمزة بن علي بن حمزة، الحَرَّاني المقرئ، ويعرف بابنِ القُبَّيْطي[٢].

ولد سنة أربع وعشرين وخمس مئة ببغداد. وقرأ القرآن بالرِّوايات على الشيخ أبي محمد سبط الشيخ أبي منصور الخياط وغيره، وسمع الحديث، وكان

(١) لهما ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠٢ هـ)، وتاريخ الإسلام (ت ١٠٦، ١٠٧ وفيات سنة ٦٠٢ هـ)، الوافي بالوفيات: ٢٥/ ٥٢٥ ـ ٥٢٦، شفاء القلوب: ٢١٥، الدارس: ١/ ٣٧٤.

(٢) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠٢ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ٩٢ ـ ٩٣، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٤٤١ ـ ٤٤٢، معرفة القراء: ٣/ ١١٣٠ ـ ١١٣١، العبر للذهبي: ٥/ ٤، الوافي بالوفيات: ١٣/ ١٧٧ ـ ١٧٨، غاية النهاية: ١/ ٢٦٤، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٩١، شذرات الذهب: ٥/ ٧.

حسنَ الصَّوْت بالقراءة، يصلِّي إماماً بالمسجد الذي بجانب البدرية، فكان النَّاسُ في ليالي شهر رمضان يأتون إليه من أقطار بغداد يستمعون قراءته. وكانت وفاته في ذي الحِجَّة، وصُلِّي عليه بالنظامية، ودُفِنَ بباب حَرْب. سمع أبا الكرم المبارك ابن الشَّهْرُزوري، وإبراهيم بن نبهان الرَّقِّي، وسَعْد الخير الأنصاري، وأبا الفضل الأرموي، وغيرهم وروى عنهم، وكان صالحاً، عفيفاً، زاهداً، ثِقَةً.

ونقلتُ من خَطِّ العِزِّ محمد بن تاج الأمناء أبي الفَضْل أحمد بن محمد بن الحسن قال: يوم الجمعة العشرين من ربيع الأول توفِّيت أُمُّ المُعَظَّم، ودُفِنَتْ بالجبل.

قلتُ: يعني بالقُبَّة التي في المدرسة المعروفة بالمعظَّمية، وفي تلك القبة معها ابناها المُعَظَّم عيسى، والعزيز عثمان؛ ابنا الملك العادل أبي بكر بن أيوب، وأخوهما المتوفَّى قبلهما الملك المغيث عمر بن العادل.

قال: وفي رابع عشر جُمادى الآخرة توفي الفقيه شرف الدِّين، أبو الحسن، علي بن محمد بن علي، جمال الإسلام ابن الشَّهْرُزُوري[1] بمدينة حِمْص، كان قد سكنها منذ أُخرِجَ من دمشق[2].

---

(١) له ترجمة في ذيل تاريخ بغداد لابن النجار: ٤/ ٢٨ ـ ٣٠، التكملة للمنذري: ٢/ ٨٢ ـ ٨٣، تاريخ الإسلام (ت ٩٨، وفيات سنة ٦٠٢ هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٤٢٣ ـ ٤٢٤، المختصر المحتاج إليه: ٣/ ١٣٧، الوافي بالوفيات: ٢٢/ ٩٦ ـ ٩٨، طبقات الشافعية للسبكي: ٨/ ٢٩٨، (نقلاً عن الطبقات الوسطى)، طبقات الشافعية للإسنوي: ٢/ ٤٢٩ ـ ٤٣٠، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٠٢ هـ).

(٢) أُخرج من دمشق في سنة (٦٠٠ هـ)، فقدم بغداد في أوائل سنة (٦٠١ هـ)، ولجأ إلى ديوان الخلافة مستشفعاً في عوده إلى دمشق، ويبدو أنه لم يشفع فيه، فرجع إلى حمص وسكنها حتى وفاته، انظر «ذيل تاريخ بغداد» لابن النجار: ٤/ ٢٩، وقد سكتت مصادر ترجمته عن سبب إخراجه، ولعله أنكر على العادل هدنته مع الفرنج سنة (٦٠٠ هـ)، وقد تنازل لهم فيها عن يافا والناصرة، فأخرجه من دمشق، بيَّنْتُ ذلك في كتابي «ما بعد صلاح الدين»، وأرجو أن أنشره قريباً.

قلتُ: وكان مدرِّس المدرسة الأمينية، والزَّاوية المقابلة لباب البرادة بالجامع، وكان عالماً بالمذهب والخلاف، ماهراً في ذلك.

قال: وفي شعبان هدموا قَنْطَرَةَ البابِ الشَّرْقي الرُّومية لتُنْشَرَ حجارتُها بلاطاً لصحن الجامع، وفرغ منه في رمضان سنة أربعٍ وست مئة.

وفي أول شَوَّال غَيَّروا من قُبَّة الجامع عِدَّة أضلاع من شمالها.

وفي خامس عشره توفي مسعود الحبشي الزَّاهد، ودُفِنَ بالجبل.

وفي يوم الجمعة[1] سابع ذي القَعْدَة وُجِدَ التقي الأعمى مشنوقاً بالمئذنة الغربية.

قلتُ: هذا التقي اسمه عيسى بن يوسف بن أحمد الغَرَّافي[2]، ولد بالغَرَّاف من أرض العراق، وكان ضريراً عفيفاً، فقيهاً مفتياً، شافعياً، مدرِّساً بالمدرسة الأمينية خارج باب الجامع القِبْلي، وكان يسكن في أحد بيوت منارة الجامع الغربية، وكان ابتلي بأخذِ مالٍ له من بيته، واتَّهَمَ به شخصاً كان يقرأُ عليه، ويطلع معه إلى البيت يقضي حاجته، ويقوده من المدرسة إلى البيت، ومن البيت إلى المدرسة، فأنكر الشخصُ المُتَّهمُ ذلك، وتعصَّب له أقوامٌ عند والي البلاد، فوقَعَ النَّاسُ في عِرْضه مِنْ اتهامه مَنْ ليس مِنْ أهل التُّهم، ومن كونه جمعَ ذلك المالَ وهو وحيد غريبٌ، ونسبوه إلى أنه غيرُ صادقٍ فيما ادَّعاه، فزاد عليه الهَمُّ مِنْ ضَيَاعِ ماله، والوقوع في عِرْضه، ففعل بنفسه ما فعل. وقد وقع مِثْلُ هذا لجماعةٍ، وفعلوا فِعْله. وجرى لي أُختُ هذه القضية، وعصمني الله سبحانه بفَضْله[3].

٥٥

(١) في (ك) و(ع) و(س): الخميس.

(٢) له ترجمة في تاريخ الإسلام (ت ٧١ وفيات سنة ٦٠٢ هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٤٢٢، العبر: ٥/ ٤، نكت الهميان: ٣٢٣ ـ ٣٢٤، طبقات الشافعية للسبكي: ٨/ ٣٤٥ ـ ٣٤٦، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٠٢ هـ)، شذرات الذهب: ٥/ ٧.

والغرافي: نسبة إلى الغَرَّاف نهر كبير تحت واسط، بينها وبين البصرة. «معجم البلدان»: ٤/ ١٩٠.

(٣) لم يبيِّن أبو شامة متى جرت له هذه القضية، وقد اجتهدت في دراستي عنه، فوضعتها في سياق هو الأنسب لها في سيرته.

وبلغني أنَّ جماعةً من المتفقهة امتنعوا من الصَّلاة عليه، وقالوا: قَتَلَ نفسه. فتقدَّم شيخُنا فخر الدين أبو منصور عبد الرحمن ابن عساكر، فصلَّى عليه، فاقتدى الناس به، رحمهم الله.

ودَرَّسَ بالمدرسة الأمينية بعده الجمال المِصْري، وكيل بيت المال، وسيأتي ذكره، إن شاء الله تعالى[1].

وفي ثامن عشر ذي القعدة توفي الفقيه جامع المغربي، والد العلاء محمد بن جامع، ودفن من الغد بالجبل، وتُرْبَتُهُ مشهورةٌ على الطَّريق، وكان يتولَّى عقود الأنكحة، وسمع من الحافظ الكبير أبي القاسم وغيره، رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنةُ ثلاثٍ وست مئة

ففيها فارق وجه السَّبع حاج العراق، وقَصَدَ الشَّام، وكان في الحاجِّ العراقي جماعةٌ من الأعيان، فبكوا، وضجُّوا، وسألوه، فقال: مولاي أمير المؤمنين محسنٌ إلي، وما أشكو إلا من الوزير ابن مهدي، فإنَّه يَقْصِدُني لقُرْبي من مولاي، وما عن الرُّوح عِوَض. وسار إلى الشَّام، ودخل الحاج بغداد، وعليهم وَحْشة وكآبة، وأمر الخليفة أن لا يخرج الموكب إلى لقائهم، ولا يخرج إليهم أحد، وأدخل الكوس والعَلَم والمهد في الليل، وأقام الخليفة حزيناً أياماً، وأما وجه السبع، فوصل إلى دمشق، فالتقاه العادل وأولاده، وخدموه، وأحسنوا إليه.

وفيها ولَّى الخليفةُ عمادَ الدِّين أبا القاسم عبد الله بن الدَّامَغَاني قضاءَ القُضَاة ببغداد، فاستنابَ أبا الفتح محمد بن المَنْدَائي الواسطي في القضاء بواسط.

وفيها قبض الخليفةُ على الركن عبد السَّلام بن عبد الوهَّاب بن الشَّيخ

(١) انظر ص٣٥١ ، ٣٨٧ من هذا الجزء